

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسَبِّحُ عَيْنَهُ وَنُسَبِّتُ غَيْرَهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا ضَلَالَ لَهُ، وَمَنْ يَضَلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَا بَعْدُ:

فقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أُوحي إليه من ربه: "أن الله يقبض العلم - في آخر الزمان - يقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأفضلوا" [متفق عليه]. وقد وصل المسلمون - بعد القرون المفضلة - إلى حال قريبة من هذا المآل المظلم منذ ظهور دولة القرامطة، ثم الفاطميين، ثم العثمانيين، ولكن الله "يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها" بالعودة إلى أصله فضلاً منه وإحساناً.

وفي هذا العصر احتل بعض طلاب العلم والفكر - ممن لا يملكون من العلم أكثر من شهرتهم بين العوام وأشباههم بحفظ الشعر، وغرائب الروايات، والأخبار، والأمثال، ولحن القول - مجلس العالم بشرع الله، والمداعي على سبيله على بصيرة من كتابه وسنة رسوله وفقه أئمة المدين.

وقبل أيام قدمت لنا جريدة (الحياة) في عددها (14268) بتاريخ 30/1/1423 هـ ذوياً جديداً من الرؤوس المنتحلة لمجالس العلم والفتوى لم ينتظروا اتخاذ الناس إياهم رؤوساً ولما سؤالمهم، فأفتوا بغير علم، بل ونقضوا فتوى كبار العلماء إذ لم توافق أهواءهم.

قال شاعر بعنوان (الشهداء) يخاطب من يقوم بالعمليات القتالية (المفدائية):

يشهد الله أنكم شهداء □ □ □ □ □ □ □ □ يشهد الأنبياء والأولياء

والله يعلم أن هذا افتراء عليه وعلى أنبيائه وهم خير أوليائه.

ويخاطب كبار العلماء وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله:

قل لمن دبجوا الفتاوى رويداً □ □ □ □ □ □ □ □ رب فتوى تضح منها السماء

دون أن يأتي بكتاب، ولما أثاره من علم ينقض ما جاءوا به من محكم الكتاب، وصحيح السنة، وفقه أئمة القرون المفضلة في نصوصهما، بل دعا بدعوى الجاهلية: ارفعوا أقدام العلم الشرعي، واطووا صحفه، وكموا أفواه المستفتين والمفتين والفقهاء، ودعوا المحكم للهوى وحده:

حين يدعوا الجهاد يصمت حبر □ □ □ □ □ □ □ □ ويراع والمكتب والمفتاء

حين يدعوا الجهاد لا استفتاء □ □ □ □ □ □ □ □ الفتاوى يوم الجهاد الدماء

والعلم بشرع الله يحمله من كل خلف عدوله، وليس منهم شعراء الظنون والعواطف، فقد قال الله تعالى:

{والشعراء يتبعهم الغاؤون* ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون* وأنهم يقولون ما لا يفعلون} [الشعراء: 224-226]، ومن الواضح أن الشعراء يتبعون الغاوين - أيضاً -، فهم في الغواية يعمهون، فلا يصلحون مفتين، ولما ذاقدين لفتاوى العلماء، شرعاً ولما عقلاً.

وهذا الشاعر نفسه - هدانا الله وإياه - حكم على من وصفهم بالعلماء في (صوت الكويت) 10/5/1410:

{أن يبقوا في مجالات تخصصهم، وألما يزوجوا بأنفسهم في بحار السياسة حتى لا يغرقوا ويغرقوا شبابنا الحائر معهم}، فما له لا يقبل فتواه لغيره، فيبقى في تخصصه، مع أن السياسة تقوم على المظن، فلكل أن يرى فيها رأيه، وإذا كان من العلم بالسياسة تشجيع المتفجير الذي لا يميز بين صغير وكبير، ولما بين بريء ومذنب، فلن يكون المجهل بها أسوأ.

أما شرع الله، فنجد اليقين عنه في كتاب الله تعالى: {ولما يجرمكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولما تعاونوا على الإثم والعدوان} [المائدة: 2] {ولما يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى} [المائدة: 8]، وفي صحيح البخاري: باب 77 من كتاب الجهاد 56: لا يقال فلان شهيد، وحديث: "الله أعلم بمن يجاهد في سبيله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله"، وحديث: الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفي عسكره لا يترك للمشركين شاذة ولما فائدة إلا اتبعها يضربها بسيفه، حتى قال بعض الصحابة: ما

أجرأ منا اليوم أحد كما جرأ فلان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما إنه من أهل النار"، لأنه قتل نفسه. وفي صحيح مسلم: ذكر غلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي قُتل يوم خيبر، فقال بعض الصحابة: هنيئاً له الشهادة يا رسول الله، فقال: "كلا والذي نفس محمد بيده، إن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم في الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا"، فكيف بالمقتال للأرض والهوية والحزبية؟! والله الموفق.

(نقلا من مجلة الأصاله - العدد 37، السنة السابعة 15/ صفر/ 1423هـ - ص 16-18)